الفصل الثاني

حياة ابن قتيبة وثقافته

نَسَبُه وثقافته:

هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قُتيبةَ الدِّيْنَوَرِيُّ، وقيل المَرْوزي. كان فَاضلاً ثقة، سكن بغداد، وحَدَّث بها عن إسحاق بْن رَاهَويه، وأبي إسحاق الزِّيادي، وأبي حاتم السِّجستاني، وتلك الطَّبقة.

وروى عنه ابنه أحمد، وابن دُرُسْتُويه الفارسي (ت ٣٤٧هـ). قيل إنَّ أباه مَرْوَزِيٌّ، وأمَّا هو فمولده ببغداد، وقيل بالكوفة، وأقام بالدِّينَوَر مُدَّةً قاضياً فَنُسِبَ إليها.

كانت ولادَتُه سنة ثلاث عشرة ومائتين، وتوفي سنة ست وسبعين ومائتين[1].

مُؤَلَّفاتُه:

١- كتاب المعارف

٢- أدب الكاتب

٣- غريب القرآن الكريم

---

(١) أبو العبَّاس شمس الدين بن خَلِّكان (ت ٦٨١هـ): وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان. تحقيق د. إحسان عَبَّاس (دار صادر - بيروت ١٩٧٠م) ٣: ٤٢-٤٣.
الفهرست لمحمد بن إسحاق النَّديم (ت ٣٨٥ هـ) (دار المعرفة بيروت ١٩٧٨م) ص١١٥.

٤- غريب الحديث

٥- عيون الأخبار

٦- مُشكل القرآن

٧ مُشكل الحديث

٨- طبقات الشعراء[١]

٩- الأشربة

١٠- إصلاح الغَلَط

١١- كتاب التقفية

١٢- كتاب إعراب القراءات

١٣- كتاب الأنواء

١٤- المسائل والجوابات

١٥- الميسر والقداح

وغير ذلك[٢].

وأقرأ كُتُبَهُ ببغدادَ إلى حين وفاته. وكان ولده أبو جعفر أحمد بن عبدالله فقيهاً، وروى عن أبيه كتبه المُصَنَّفة كُلَّها، وتولى القضاء بمصر[٣].

---

(١) وهو كتاب الشعر والشعراء الذي نحن بصَدَدِه. وفي الفهرست ص١١٦: الشعر والشعراء.

(٢) وفيات الأعيان ٣: ٤٣؛ وانظر الفهرست ص١١٥، ومعظم هذه الكتب منشور ومحقق تحقيقاً علمياً.

(٣) توفي أبو جعفر سنة ٣٢٢هـ بمصر.
وفيات الأعيان ٣: ٤٣.

وكان ابن قتيبة يغلو في البَصْريين، إلاَّ أنَّه خلط المَذْهَبين، وحكى في كتبه عن الكوفيين[1].

ويقول ابن النَّديم (ت ٣٨٥هـ): كان صادقاً فيما يرويه، عالماً باللغة، والنحو، وغريب القرآن، ومعانيه، والشِّعر، والفقه، كثير التصنيف والتأليف.

منهجه في تأليف كتاب الشعر والشعراء:

صَدَع ابن قتيبة بمنهجه في تأليف كتابه «الشعر والشعراء» بهذه النَّبرة العالية التي أرادها المؤلِّف مغايرة واضحة لمنهج محمد بن سَلاَّم الجمحي في «طبقات فحول الشعراء» وإن لم يذكر ذلك صَرَاحَةً؛ يقول:

"ولم أَسْلُك، فيما ذَكَرْتُهُ مِنْ شعر كُلِّ شاعر مُختاراً له سبيلَ مَنْ قَلَّد، أو استحسن باستحسان غيره. ولا نَظَرْتُ إلى المُتَقَدِّم منهم بعين الجلالة لتَقَدُّمه، وإلى المتأخِّر منهم بعين الاحتقار لِتأخُّرِه. بل نَظَرْتُ بِعَين العَدْلِ على الفريقين، وأعطيتُ كُلاًّ حَظَّهُ، ووفَّرت عليه حَقَّهُ"[2].

وفي الوقت الذي سَلَكَ فيه الجمحيُّ سبيلَ التقليد، واستحسن باستحسان غيره، كان له من قُوَّة الحضور والثقة بالنَّفس، والاعتداد بالذَّات ما جعل له الرأيَ الشَّخصي، والموقف الذَّاتي الخاص إزاء كل ظاهرة نقدية أو حُكْم نقدي، أو مسألة خلافية. ويكون قد ابتدأ من حيث انتهى علماءُ النقد السَّابقون؛ وهي المنهجية الموضوعية في كل الدراسات والبحوث الأكاديمية في العصر الحديث.

---

(١) الفهرست ص ١١٥.

(٢) الشعر والشعراء ص ١٠.

يقول الجمحيُّ:

"ثم إنَّا اقتصرنا – بعد الفَحْص، والنَّظر، والرِّواية عَمَّن مضى من أهل العلم – إلى رَهْطٍ أربعة، اجتمعوا على أنهم أشْعَرُ العرب طبقةً، ثم اختلفوا فيهم بَعْدُ. وسَنَسوقُ اختلافَهم، واتفَّاقهم، وَنُسمِّي الأربعةَ، وَتَذْكُرُ الحُجَّة لكل واحد منهم"[1].

وإذاً، فالآراء كلها مَرَّت على "مناخل" مختلفة الأحجام والمَهَامِّ، فَقُبِلَ ما اقتنع به، ورُفِض مالم يحمل على الإقناع؛ وَظَلَّت شخصية النَّاقد الأدبي متماسكَة الرُّؤية النَّقدية، مُوَحَّدة الموقف النَّقدي.

على أنَّ ابن قتيبةَ كان يَنْصَرِفُ في مقولته إلى تصرفات أساتذته وشيوخه بأكثر مما كان يعني الجمحيَّ بشكل شخصي، وإن كان يرى أن منهجَه (ابن قتيبة) لا يتلاقى ومنهجَ الجمحيِّ في كتابه «طبقات فحول الشعراء».

يقول ابن قتيبة:

"فإني رأيتُ من علمائنا مَنْ يَسْتَجيد الشِّعْرَ السَّخيفَ لتَقَدُّم قائله، ويَضَعُهُ في مُتَخَيَّره، وَيُرْذِل[2]. الشِّعر الرَّصينَ، ولا عَيْبَ له عِنْدَهُ إلاَّ أنَّه قيل

(١) محمد بن سَلاَّم الجمحي (ت ٢٣١هـ): صبقات فحول الشعراء. قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر (مطبعة المدني. القاهرة، ١٩٧٤م) ص ص ٤٩–٥٠.

(٢) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): أساس البلاغة (دار صادر – بيروت ١٩٧٩م): ر ذ ل.
رَذْلٌ، ومرذول، وهو الدُّونُ في منظره، وحالاته. وقد رَذِلَ رُذُولة، ورذالة، وَرَذِلَ. وَرُذِلَ، وقوم، أرذال، وهو من أراذلهم.

في زَمَانِه، أو أَنَّهُ رأى قائلَهُ"[1].

وهو ما يُعْرف بالتعلق بالقديم، وقداسة الزَّمن[2].

ويضيف ابن قتيبةَ قولهَ:

"ولم يَقْصُرِ اللهُ العِلْمَ والشِّعْرَ والبلاغَةَ على زَمَنٍ دون زَمَنٍ، ولا خَصَّ به قَوماً دون قوم..."[3].

وأَمْرُ الموهبة هذه طَرَقَهُ الجمحيُّ، ولاحظ التقسيم "الديمغرافي" (الاجتماعي الجغرافي) في توزع المواهب الشعرية على الخريطتين القبلية والجغرافية. يقول محمد بن سلاَّم الجمحي:

"وكان شُعَراءُ الجاهلية في رَبِيعَةَ"

أَوَّلُهم المُهَلْهِل، والمُرَقِّشان، وسعد بن مالك، وطَرَفة بن العَبْد، وعمرو بن قَميئة، والحارث بن حِلِّزَةَ، والمُتَلَمِّس، والأعشى، والمُسَيَّبُ بن عَلَس.

ثُمَّ تَحَوَّلَ الشِّعر في قيسٍ، فمنهم: النَّابغة الذبياني... ولبيد، والنَّابغة الجعدي، والحطيئة، والشَمَّاخُ، وأخوه مُزَرِّد، وخداش بن زهير.

ثم آلَ ذلك إلى تَميمٍ، فلم يَزَلْ فيهم إلى اليَوم[4]"[5].

= ويقال: أرْذَلَ الصَّيرفيُّ من دراهمي كذا درْهماً. وأرذل من أصحابيَ كذا رَجُلاً: لم يَرضَهم.

(١) الشعر والشعراء ص١٠.

(٢) وقيل في العصر الحديث: "المُعَاصَرة" حِجابٌ". أي أن المرء يُشْتهر بعد وقته وليس في إبَّانه.

(٣) الشعر والشعراء ص١٠.

(٤) إلى زمان الجمحي المتوفى سنة ٢٣١هـ.

(٥) طبقات فحول الشعراء ص٤٠.

ولم يكن مِثْلُ هذا المَلْمحِ بغائبٍ عن ابن قتيبةَ وهو "يقتحم" الأجواء الأدبيَّة ليقُولَ بكل جُرْأَةٍ وثباتٍ أن الشِّعر غيرُ مقصور على زَمَنٍ دون زَمَنٍ، ولا على قَومٍ دون قومٍ.

أضف إلى ذلك أنَّ الجمحيَّ رَتَّب في طبقاته أربعينَ شاعراً فَحْلاً في الإسلام في عَشْر طبقاتٍ بإزاء أربعين شاعراً فَحْلاً في الجاهلية في عَشْر طبقات. ففكرة التوزيع هذه والتَّوزع إنما الجمحيُّ هو سابق فيها على ابن قتيبة؛ ولكل عالم فَضْلُهُ في التَبَيُّن والتبيين. وضرب الأمثلة، وسوق الشَّواهد.

يقول ابن قتيبة في حديث العلْم والشِّعر والبلاغة:

"بل جعل ذل مُشْتَرَكاً مَقْسُوماً بين عبادِهِ في كُلِّ دَهْرٍ، وجعل كُلَّ قديم حَديثاً في عَصْرِه، وكُلَّ شَرَفٍ خَارِجِيَّةً[1] في أَوَّلِه. فقد كان جريرٌ والفَرَزْدق والأخطل وأمثالهم يُعَدُّون مُحْدَثين، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد كَثُرَ هذا المُحْدَثُ وَحَسُنَ حتى لقد هَمَمْتُ بروايته"[2].

ويضيف ابن قتيبة قولَه:

---

(١) الخارجي: مَنْ ساد وليس له أصل في ذلك. يقال: فَرَسٌ خَارِجي: لا عِرْقَ له في الجَوْدة، وهو مع ذلك من الجياد. جمعها: خارِجِيَّة. المعجم الوسيط: خرج. والمعنى المقصود كما يراه كاتب هذا المؤلَّف "طَارِئاً في أَوَّلِه" أي "مُحْدَثَ" النِّعمة.

(٢) الشعر والشعراء ص ص ١٠-١١.

"ثُمَّ صار هؤلاء قُدَمَاءَ عِنْدَنا بِبُعْدِ العَهْدِ منهم، وكذلك يكونُ من بَعْدَهم لمن بَعْدَنا، كالخُرَيْمي، والعَتَّابي، والحَسَن بن هانئ وأشباههم. فَكُلُّ مَنْ أتى بِحَسَنٍ مِنْ قَولٍ أو فِعْلٍ ذَكَرْنَاهُ (له)، وَأَثْنَيْنَا به عليه، ولم يَضَعْهُ عندنا تَأَخُّرُ قائلِه أو فَاعلِه، أو حَدَاثَةُ سنِّه. كما أَنَّ الرَّديءَ إذا وَرَدَ علينا للمتقدم أو الشَّريف لم يَرْفَعْهُ عندنا شَرَفُ صاحبه ولا تَقَدُّمُهُ"[1].

---

(١) الشعر والشعراء ص ١١.

"جرير: هوجرير بن عطية بن حذيفة. ولقب حُذيفة "الخَطَفَى" Khatafa.

وهو من بني كليب بن يربوع. كان يكنى أبا حَزْرَة Hazra، وعُمِّر نَيِّفاً وثمانينَ سنةً، ومات باليمامة.

كان جريرٌ من فحول شعراء الإسلام، وَيُشَبَّه من شعراء الجاهلية بالأعشى.

وكان مع حسن تشبيبه عفيفاً، وكان الفَرَزْدَقُ فاسقاً. وكان يقول: ما أحوجَه مع عِفته إلى صلابة شعري، وما أحوجني إلى رِقَة شعره، لِما تَرَوْنَ.

وكان جرير مقيماً بالمَرُّوت من البادية، والفرزدق بالعراق.

عاصر عبد الملك بن مروان وأنشده من شعره:

الشعر والشُّعراء ص ص ٣٧٤–٣٨٠.

الفَرَزْدَق: هَمَّام بن غالب بن صَعْصَعة بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مَجاشِع بن دارم. كان جَدُّه صَعْصَعة بن ناجية عظيمَ القدْر في الجاهلية، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم.

وغالب أبو الفرزدق يكنى أبا الأخطل، وكان سيد بادية تميم. ولقب هَمَّام بالفَرَزدق لغِلَظِه وَقِصَرِه، شُبِّه بالفَنِيتة التي تشربها النِّساء، وهي الفَرَزْدَقِيَّة.

وكنية الفَرزدق: أبو فِراس.

وأنشد الفَرزدق سليمان بن عبد الملك.

وقال الفرزدق: سمعت أبا هريرة يقول على مِنبر المدينة: =

الذبيح إسماعيل (عليه السَّلام) .

الشعر والشعراء ص ص ٣٨١-٣٩٢ .

* الأخطل: هو غِياث بن غوث، من بني تغلب، ويكنى أبا مالك .

وكان الأخطل يُشَبَّه (من شعراء الجاهلية) بالنابغة الذبياني . مدح معاوية ويزيد؛ وعبد الملك بن مروان .

الشعر والشعراء ص ص ٣٩٣-٤٠٤ .

* أبو عمرو بن العلاء: اسمه: زَبَّان . العَلَمُ المشهور في علم القراءة واللغة العربية . أخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي، وأخذ عنه يونُس بن حبيب، والخليل بن أحمد، وأبو محمد، علي بن المبارك اليزيدي . توفي سنة ١٥٤هـ في خلافة المنصور .

أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري (ت ٥٧٧هـ) نُزهة الألبَّاء في طبقات الأدباء . تحقيق د . إبراهيم السَّامرائي ط٣ (مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ١٩٨٥م) ص ص ٣٠-٣٥ .

* الخُرَيمي: هو إسحاق بن حَسَّان، ويكنى أبا يعقوب . من نَسْل الأتراك . وكان مولى ابن خُرَيم . كان أبو يعقوب الخُرَيمي متصلاً بمحمد بن منصور بن زياد، كاتب البرامكة، وله فيه مدائح جِياد، ثم رثاه بعد موته .

الشعر والشعراء ص ص ٧٣١-٧٣٥ .

* العَتَّابي: هو كلثوم بن عمرو من بني تغلب، من ولد عمرو بن كلثوم التَّغلبي . يكنى أبا عمرو . كان شاعراً مُحْسناً، وكاتباً في الرَّسائل مُجيداً، ولم يجتمع هذان لغيره .

الشعر والشعراء ص ص٧٤٠-٧٤١ .

* الحَسَنُ بن هانئ: هو أبو نُواس، الحَسن بن هانئ، مولى الحَكَم بن سَعْد العشيرة، من اليمن . كان أبونواس بَصْرياً .

مدحَ الخليفةَ الرَّشيد، ورثى محمد الأمين، ومن خير شعره قوله فيه:

طَوىَ المَوْتُ ما بيني وبين مُحَمَّدٍ ... وليس لما تطوي المنية ناشِرُ

وَكُنْتُ عليه أَحْذَرُ الموتَ وَحْدَهُ ... فلم يبق لي شيءٌ عليه أُحاذِرُ =

إنَّ تصريحُ ابن قتيبة بهذا الوضوح يكشف القناع عن سُلوك بعض ذوي النَّباهة من أساتذة اللغة العربية ممَّن كانوا مُتَخَلِّفين عن عَصْرِهم في مجالات الإبداعات الشِّعرية، والاطلاع على الشعر العَبَّاسي المُحْدَث. ولو أتى هذا الكلام من أُنَاسٍ لا أقدارَ لهم ما كان ليُعَوَّلَ عليه أَحَدٌ، أو يُصَدِّقهُ حائرٌ.

فهذا ابن الأعرابي[1] أُنْشِدَ أبياتاً لأبي تمام وهو لا يعرف قائلها، فاستحسنها، وأمر بِكَتْبِها، فلما عرف أنَّه قائلُها قال: خَرِّقوه![2]

وإذا كان ابن الأعرابي مع عِلْمه وتَقَدُّمِه قد تَصَرَّف هذا التصرف، فما

= لئن عَمَرَتْ دُورٌ بمن لا تُحِبُّهُ لقد عَمرَتْ ممن تُحِبُّ المقَابِرُ

الشعر والشعراء ص ص ٦٨٠-٧٠٦.

(١) ابن الأعرابي: أبو عبدالله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي، كان مولى لبني هاشم وكان من أكابر اللغة المشار إليهم في معرفتها. وكان عالماً ثقة، وكان ربيباً للمفضَّل الضَبِّي، وسمع منه النوادر. أخذ عنه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب.

كان ابن الأعرابي أحفظ الناس للغات، والأيام، والأنساب.

قال محمد بن الفضل الشَّعراني: كان للناس رؤوسُها، كان سفيان الثوري رأساً في الحديث، وأبو حنيفة رأساً في القياس، والكسائي رأساً في القرآن، فلم يَبْقَ الآن رأسُ فن من الفنون أكبر من ابن الأعرابي، فإنَّه رأس في كلام العرب.

توفي ابن الأعرابي سنة ٢٣٢هـ.

نزهة الألبَّاء ص ص ١١٩-١٢٢.

(٢) أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠هـ): الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. تحقيق السيد أحمد صقر دار المعارف بمصر (١٩٦١م) ص٢٢.

والأبيات من أرجوزته التي أولها:

وعاذل عذلته في عَذْلِه فَظَنَّ أنِّي جاهل مِنْ جَهْلِه

بال علماء الدرجة الثانية والدرجة الثالثة؟!

وقد حاول أصحابُ البحتري الدِّفاعَ عن تصرف ابن الأعرابي فقالوا:

"لا يَلْزَمُ ابنَ الأعرابيِّ من الظُّلم والتَعَصُّب ما أدَّعيتم، ولا يَلْحَقُه نَقْصٌ في قُصور فَهْمه عن معاني شعر شاعر عَدَلَ في شعره عن مذاهب العرب المألوفة إلى الاستعارات البعيدة المُخْرجة للكلام إلى الخطأ أو الإحالة، بل العيب والنقص في ذلك يلحقان أبا تمام؛ إذ عَدَلَ عن المَحَجَّةِ إلى طريق يَجْهَلُها ابن الأعرابي، وأمثالُه"[1].

وقال أصحاب البحتري:[2]

---

(١) الموازنة ص ص ٢٢-٢٣.

أبو تمام: حبيب بن أوس الطائي الشاعر شامي الأصل، كان بمصر في حداثته يسقي الماء في المسجد الجامع، ثم جالس الأدباء فأخذ عنهم وتعلم، وكان فَطِناً فَهِماً، وكان يحب الشعر. فلم يزل يعانيه حتى قال الشِّعر، وأجاده، وسار شِعْرُه، وشاع ذِكره، وبلغ المعتصمَ خَبَرُهُ، وأحازه المعتصم، وقدمه على شعراء وقته.

وقَدِمَ بغدادَ فجالس الأدباء وعاشر العلماء، وكان موصوفاً بالظَّرف، وحسن الأخلاق، وكرم النَّفس. ولد سنة ١٨٨هـ، ومات ستة ٢٣١هـ

قال محمد بن موسى الكندي النحوي: عُني الحسن بن وهب بأبي تمام، وولاَّه بريد المُوصِل، فأقام بها أقل من سنتين، ومات سنة إحدى وثلاثين ومائتين في خلافة الواثق، وقيل سنة ٢٣٢هـ.

نزهة الألبَّاء ص ص ١٢٣-١٢٥.

(٢) البحتري: أبو عُبادة الوليد بن عبيد بن يحيى من طيء من قحطان.

ولد بِمَنْبِج، ونشأ وتخرَّج بها، ثم خرج إلى العراق، ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله، وخلقاً كثيراً من الأكابر والرؤساء وأقام ببغداد دهراً طويلاً ثم عاد إلى =

"وأمَّا ما استحسنه ابن الأعرابي من شعر أبي تَمَّام على أنَّه لأعرابي، وأمر بِكَتْبِه، ثم بتخريقه لَمَّا عَلِمَ أنَّه قائله، فذلك غير مُنْكَرٍ، ولا مُدْخِلٍ ابنَ الأعرابي في التعصب ولا الظلم؛ لأنَّ الذي يورده الأعرابي وهو محتذ على غير مثال - أحلى في النفوس، وأشهى إلى الأسماع، وأَحَقُّ بالرواية والاستجادة مما يورده المُحتذي على الأمثلة"[1].

وقد وقع في مثل هذا "المَطَبِّ" الأصمعيُّ[2] (ت ٢١٦هـ)، ذلك أنَّ إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلي أنشد الأصمعي:

هَلْ إلى نظرةٍ إليك سَبيلُ ... فَيُرَوَّى الصَّدَى وَيُشْفَى الغليلُ

إنَّ ما قَلَّ مِنْكِ يَكْثُرُ عِنْدِي ... وكثير ممن تُحِبُّ القَلِيلُ[3].

فقال الأصمعيُّ

= الشام.

توفي سنة ٢٨٤هـ.

وفيات الأعيان ٦: ٢١-٣٠.

(١) الموازنة ١: ٢٣.

(٢) الأَصْمَعي: أبو سعيد عبد الملك بن قُريب. صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار والمُلَح. كان الخليفة الرشيد يسميه شيطان الشعر. قال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلمَ بالشِّعر من الأصمعي وخلف (الأحمر).

نزهة الألبَّاء ص ص ٩٠-١٠١.

(٣) هو: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي. أخذ الأدب عن الأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما. وشرع في علم الغناء، وغلب عليه، ونسب إليه. كان ثقة صدوقاً عالماً. وتوفي سنة ٢٣٥هـ في خلافة المتوكل.

نزهة الألباء ص ص ١٣٢-١٣٥.

لمن تُنشدني؟

فقال: لِبَعْضِ الأعراب.

قال: والله هذا الدِّيباج الخُسْرَواني.

قال: فإنَّهما ليلتهما.

فقال: لا جَرَمَ، والله إنَّ أَثَرَ الصَّنعة والتَكَلُّف بَيِّنٌ عليهما[1].

وإذاً يكون ابن قتيبة في موقع المُصَحِّح لِمسَارٍ غير موضوعي طال اللجاج فيه، والسُّكوت عنه. وفي رأي كاتب هذا البحث أنَّ الفضل في فتح بوَّابة التعامل مع الشعر المُحْدَث والإقرار بوجوده، والاستشهاد به في الإملاءات، والمراسلات، والاقتباسات إنما يعود بشكل أخص إلى هذا العالِم الجليل الذي له قَدْرُهُ الأدبي والثقافي والحضاري وله منزلته الاجتماعية والدينية، كما يعود في وقت معاصر له إلى عبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ) في كتبه وبخاصة كتاب «البديع» الذي أَلَّفه سنة أربع وسبعين ومائتين[2]. ففيه (كتاب البديع) استشهادات بأبيات المُحدثين في أبواب البديع وتحليل لجمالها أو تنبيه على تقصيرها. إنَّ أمر التعامل مع الشعر المُحْدَث أمر لم يكن على عهد ابن الأعرابي، والأصمعي؛ وإن كان أبو عمرو بن العلاءِ قد أبدى تعاطفه مع

---

(١) الموازنة ١: ٢٣. وانظر: نزهة الألباء ص ١٣٤.

والدِّيباج الخُسْرَواني والخُسْرَوي منسوب إلى خُسْرُوشاه من أكاسرة الفُرس.

أساس البلاغة للزمخشري: خسر.

(٢) عبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ): كتاب البديع. تحقيق: إغناطيوس كراتشقوفسكي ط٢ (دار المسيرة – بيروت ١٩٧٩م) ص ٥٨.

الشعر المُحْدَث فقال:

"لقد كَثُرَ هذا المُحْدَثُ وَحَسُنَ حتى لقد هممتُ بروايته"[1].

وفي الحقيقة فإنَّه لم يَفْعَلْ. كما لم يفعل أبو العبَّاس محمد بن يزيد المُبَرِّد[2] (ت ٢٨٥هـ) في شعر البحتري.

قال أبو الحسن الأخفش:

"سمعت أبا العباس محمد بن يزيد المبرِّدَ يقول: ما رأيت أشعر من هذا الرَّجُلِ -يعني البحتري- لولا أنَّه يُنْشِدُني كما يُنْشِدُكم لملأت كتبي من أمالي شعره"[3].

لقد كان ميلُ اللغويين والنحويين مع الشِّعر القديم، وكان أمرُ التوجه إلى الشعر المُحْدَث مجاملات اجتماعية وثقافية وسياسية لم تجد الطريق إلى الإنفاذ الفعلي إلاَّ بعد صَيحات ابن قتيبة وابن المعتز؛ وأنَّ الجَيِّد جيد في كل مكان، وفي كل عصر؛ وأنَّ الرديء رديء في كل مكان، وفي كُلِّ عصر.

ولَمَّا جاء أبو القاسم الآمدي (ت ٣٧٠هـ) كانت عُقْدَةُ مجانبة الشعر المُحْدَث قد انتهت، وها هو الآمدي يُصَرِّح بمثل هذه الأقوال:

١- وما أَحْسَنَ ما قال أبو نُواس:

---

(١) الشعر والشعراء ص ١١.

(٢) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثَّمالي المعروف بالمبرِّد. شيخ النحو والعربية، وكان بصرياً. توفي سنة ٢٨٥ في خلافة المعتضد بالله.
نزهة الألباء ص ص ١٦٤-١٧٣.

(٣) الموازنة ١: ٢١.

وإذا مررتُ على الدِّيار مُسَلِّماً فلغير دار أميمةَ الهِجْرَانُ[1]

٢- وما سَمِعتُ من التسليم على الدِّيار أحسنَ من قول أبي نُواسٍ:

وإذ مَرَرْتُ على الدِّيار مُسَلِّماً فلغير دار أميمةَ الهِجْرَانُ[2].

٣- وفي بيت البحتري:

أَرُسُومُ دَارٍ أم سُطور كِتَابِ دَرَسَتْ بَشَاشَتُها على الأحقابِ

وهو من الابتداءات العجيبة، المُشْبِهَة لكلام الأوائل[3].

وكانت غايةُ ابن قتيبة من تأليف كتاب الشعر والشعراء أن يكون مُستودعاً للأخبار عن جَلالة قَدْرِ الشِّعر، وعظيم خَطَرِه، وعَمَّن رَفَعَهُ الله بالمديح، وعَمَّن وضعه بالهجاء، وعمَّا أودعته العَرَبُ من الأخبار النَّافعة، والأنساب الصِّحاح، والحِكَم المُضارعة لِحِكَمِ الفلاسفة... وعمَّا يبعثُ منه البخيلَ على السَّماحِ، والجبانَ على اللقاء، والدَّنِيَّ على السُّموِّ."[4] وبذلك تكون "أدبيات" الشعر هي التي تُوَجِّه منهج الكتاب، وترتيب أبوابه، وفصوله مع تركيز على "المادة الثقافية" لهذا الشعر، وما تصل منه بمادَّة دراسية أو مجلس علم أو مذاكرة أو سَمَرٍ، ها هو يقول:

"هذا كتاب ألَّفته في الشُّعراء، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم،

---

(١) الموازنة ١: ٤١٣.

(٢) الموازنة ١: ٤٢٠.

(٣) الموازنة ١: ٤٢١.

(٤) الشعر والشعراء ص ١١.

وأقدارهم، وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم، وأسماء آبائهم، ومن كان يُعْرَفُ باللقب وبالكنية منهم، وعمَّا يُسْتَحْسَنُ من أخبار الرَّجُل، ويستجاد من شعره، وما أَخَذَتْهُ العلماءُ عليهم من الغلط، والخطأ في ألفاظهم أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون"[1].

ويضيف ابن قتيبة قولَه:

"وكان أكثرَ قصدي للمشهورين من الشعراء، الذين يعرفهم جُلُّ أهل الأدب، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب، وفي النحو، وفي كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2].

وإذاً، وخلافاً لمناهج من سبق بتقليد غيرهم؛ فإنَّ ابن قتيبة كان يبغي استقلالية الرؤية النقدية، ثم مراعاة أولويات الثقافةالإسلامية، وقاعات الدرس، ومجالس العلم.

فمن الأولويات:

١ـ الاقتصار على الأهم دون المُهم؛ وعلى الأشهر دون المشهور. يقول:

"فأمَّا من خفي اسمُه، وقَلَّ ذِكْرُهُ، وكَسَدَ شعره، وكان لا يعرفه إلاَّ بَعْضُ الخَوَاصّ فما أَقَلَّ من ذَكَرْتُ مِن هذه الطبقة؛ وإذ كُنت لا أعرفُ منهم إلاَّ القليلَ، ولا أعرف لذلك القليل أيضاً أخباراً؛ وإذ كنتُ أعلمُ أنَّه لا حاجة بك إلى أن أُسَمِّيَ لك اسماءً لا أَدُلُّ عليها بِخَبَرٍ، أو زَمَانٍ، أو نَسَبٍ، أو نادرةٍ أو

---

(١) الشعر والشعراء ص ٧.

(٢) الشعر والشعراء ص ٧.

بيت يُسْتَجاد، أو يُسْتَغْرَبُ"[1].

وإذاً، فمع أولويات النقد الأدبي اعتبارات الخبر الشائق، والارتباط الزماني، والنَّسب الملفت للنظر، والنادرة الجديرة بالنَّقل، والبيت الفائق الجودة، أو الغريب في تركيبه ومعناه.

ويوضِّح ابن قتيبة نفسه أولوية الانتقاء، والاقتصار على الأشهر دون المشهور في هذا الخطاب الرَّائق، والمناقشة اللطيفة:

"ولعلك تَظُنُّ -رحمك الله- أنَّه يَجِبُ على من أَلَّف مثل كتابنا هذا ألاَّ يدع شاعراً قديماً، ولا حديثاً إلاَّ ذكره. وَدَلَّك عليه، وَتُقدِّرُ أن يكون الشعراء بمنزلة رواة الحديث والأخبار، والملوك والأشراف، الذين يبلغهم الإحصاء، ويجمعهم العدد"[2].

ويضيف ابن قتيبة قوله:

"والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام، أكثرُ من أن يحيط بهم مُحيط، أو يقف من وراء عددهم واقفٌ، ولو أَنْفَدَ عُمُرَهُ في التنقير عنهم، واستفرغ مجهودَه في البحث والسُّؤال"[3].

ويختم ابن قتيبةَ مناقشته بالقول:

"ولا أَحْسِبُ أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يَفُتْهُ من تلك

---

(١) الشعر والشعراء ص ٨.

(٢) الشعر والشعراء ص ٨.

(٣) الشعر والشعراء ص ٨.

القبيلة شاعر إلاَّ عرفه، ولا قصيدة إلاَّ رواها"[1].

٢- الاقتصار على الشعراء "المُحترفين" دون الهُواة (Professional Poets)، وغير المتفرغين، والمُداومين بعض الوقت (Part-time Poets).

قال ابن قتيبة:

ولم أَعْرِض في كتابي هذا لمن كان غَلَبَ عليه غيرُ الشِّعر. فقد رأينا بعض من أَلَّفَ في هذا الفن كتاباً يذكر في الشعراء من لا يُعْرَفُ بالشعر، ولم يَقُل إلاَّ الشَذَّ اليسيرَ، كابن شُبْرُمَة القاضي[2] وسليمان بن قَتَّة التَيمي المُحَدِّث[3]. ولو قصدنا لِذِكْرِ مثل هؤلاء في الشعراء لَذَكَرْنا أكثر النَّاس، لأنَّه قَلَّ أَحَدٌ له أدنى مُسْكَةٍ من أدب، وله أدنى حَظٍّ من طبع، إلاَّ وقد قال من الشِّعر شيئاً، ولاحتجنا أن نذكر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَجِلَّة التابعين، وقوماً كثيراً من حَمَلَةِ العِلم، ومن الخلفاء والأشراف، ونجعلهم

---

(١) الشعر والشعراء ص٨.

(٢) ابن شُبْرُمة القاضي: كان معاصراً للفرزدق؛ وله أشعار مختلفة أورد بعضها صاحب العقد. توفي حوالي ١٤٤هـ.
أحمد بن عبد ربه (٣٢٨هـ): العقد الفريد. تحقيق محمد سعيد العريان (دار الفكر بيروت) ص ص ٤٤-٤٥.

(٣) سليمان بن قتة منسوب إلى أُمِّه، وكان شاعراً يحمل عنه الحديث وهو مولى لتيم قريش.
أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: المعارف. ط١ (دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧م).

في طبقات الشعراء"[1].

على أنَّ ابن قتيبة قد بدأ بالشعراء الجاهليين، ثم أعقبهم بالشعراء المخضرمين أمثال حَسَّان بن ثابت الأنصاري، وربيعة بن مقروم، والحطيئة، وعامر بن الطفيل، ومالك ومتمم ابني نُويرة. ثم شعراء صدر الإسلام فشعراء بني أمية مثل جَرير والفَرَزدق والأخطل، وكُثَيِّر، والأحوص؛ وذي الرُّمَّة، وابن قيس الرُّقَيَّات، وعمر بن أبي ربيعة؛ ثم شعراء بني العباس مثل بشار بن برد، ومروان بن أبي حفصة، وخلف الأحمر، وأبي العتاهية، وأبي نواس، والعباس ابن الأحنف، ومسلم بن الوليد، ودِعبل الخُزَاعي، والخريمي، والعَتَّابي، وأشجع السُّلَمي.

وينبغي الإشارة إلى أنَّ أكثر شعراء محمد بن سَلاَّم الجمحي (ت ٢٣١هـ) تضمنتهم قوائم ابن قتيبة؛ على أنَّ الترجمة للشعراء وأخبارهم وأحوالهم تختلف عن طرائق سردها عند الجمحي؛ وهذا ما أكسب الشعر والشعراء نكهة جديدة مغايرة لما ذكره الجمحي، وفَرَضَ هذا الكتاب نفسه فَرْضاً على الناقد الأدبي، والمؤرخ الأدبي.

ولأهمية هؤلاء الشعراء، والتركيز عليهم في كل كتب الأدب اللاحقة للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، والمبرد (٢٨٥هـ)، وابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ)، وأبي الفَرَج الأصفهاني (ت ٣٥٤)، وأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، وابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، نجد لزاماً علينا -ومن أجل طلبة العلم في الجامعات والمعاهد- أن نُلِمَّ بأسمائهم جميعاً؛ وهم:

---

(١) الشعر والشعراء ص١٠.

١- امرؤ القيس بن حُجْر
٢- زهير بن أبي سلمى
٣- كعب بن زهير
٤- النابغة الذبياني
٥- المُسَيَّب بن عَلَس
٦- المُتلَمِّس
٧- طرفة بن العبد
٨- الحارث بن حِلِّزة اليشكري
٩- لقيط بن معمر
١٠- أوس بن حَجَر
١١- المُرَقِّش الأكبر
١٢- المُرَقِّش الأصغر
١٣- علقمة بن عَبَدة
١٤- الأفوه الأودي
١٥- عدي بن زيد العَبَّادي
١٦- عمرو بن كُلثوم
١٧- أبو دوان الإيادي
١٨- حاتم بن عبدالله الطائي
١٩- عنترة بن شداد العبسي
٢٠- الأسود بن يَعْفُر
٢١- الأعشى ميمون بن قيس
٢٢- عَبِيد بن الأبرص
٢٣- بِشْر بن أبي خازم
٢٤- سلامة بن جندل
٢٥- لَبيد بن ربيعة
٢٦- زيد الخيل
٢٧- النَّابغة الجَعْدي
٢٨- مُهلهل بن ربيعة
٢٩- العباس بن مِرداس
٣٠- أبو زُبيد الطائي
٣١- حَسَّان بن ثابت الأنصاري
٣٢- النَّمِر بن تولب
٣٣- تأبط شَرًّا
٣٤- مُزَرِّد
٣٥- الشَمَّاخ
٣٦- ربيعة بن مقروم
٣٧- الحُطَيئة
٣٨- النَّجاشي الحارثي
٣٩- عامر بن الطُّفيل
٤٠- مالك بن نُوَيْرَة

٤١- متمم بن نويرة
٤٢- خُفَافُ بن نَدْبَة
٤٣- خنساء بنت عمرو
٤٤- المساور بن هند
٤٥- ضابئ بن الحارث البُرْجُمي
٤٦- مالك بن الرَّيب
٤٧- ابن أحمر الباهلي
٤٨- ابن مُفَرِّغ الحميري
٤٩- سُلَيك بن سُلَكَةَ السَّعدي
٥٠- عتيبة بن مرداس من بني تميم
٥١- عمرو بن معدي كرب الزُّبيدي ٥٢ عمرو بن قَمِيئة
٥٣- زهير بن جَنَاب
٥٤- الأضبط بن قُرَيعٍ السَّعدي
٥٥- المُسْتَوْغِر
٥٦- سويد بن خَذَّاق
٥٧- يزيد بن خَذَّاق
٥٨- أبو الطِّمَحَان القَيْني
٥٩- حُميد بن ثور الهلالي
٦٠- المُثَقِّب العبدي
٦١- المُمَزَّق العَبْدي
٦٢- ابن دارة
٦٣- المُنَخَّل اليَشْكُري
٦٤- ابن حَبُناء
٦٥- عَبْد بني الحسحاس
٦٦- نُصَيب
٦٧- العُدَيل بن الفَرْخ
٦٨- الرَّاعي النُّميري
٦٩- أَفْنُون
٧٠- المُخَبَّل
٧١- سُويد بن أبي كاهل
٧٢- أبو مِحْجَن
٧٣- عمرو بن شأس
٧٤- ابن الطَّثرية
٧٥- أبو الغُول
٧٦- زياد الأعجم
٧٧- جميل بن مَعْمَر العُذْري
٧٨- تَوْبَةُ بن الحُمَيِّر
٧٩- ليلى الأَخْيَلِيَّة
٨٠- شَبيل بن ورقاء

٨١- طُفيل بن كعب الغَنَوي
٨٢- تميم بن أبيّ بن مُقبل
٨٣- أميَّة بن أبي الصَّلت
٨٤- خُلَيد عينين
٨٥- جَرير بن عطية
٨٦- الفرزدق
٨٧- الأخطل
٨٨- البَعيث
٨٩- اللعين المنْقَري
٩٠- الصَّلَتان العَبْدي
٩١- كُثَيِّر
٩٢- الأَحْوَص
٩٣- أَرَطَاة بن سُهَيَّة
٩٤- ذو الرُّمَّة
٩٥- نهار بن توسعة
٩٦- ابن قيس الرُّقَيَّات
٩٧- أيمن بن خُرَيم
٩٨- مسكين الدَّارمي
٩٩- عمر بن أبي ربيعة
١٠٠- الأُقَيشر
١٠١ المجنون
١٠٢- العُرْجي
١٠٣- موسى شَهَوات
١٠٤- عُرْوَة بن أُذَينة
١٠٥ الكُمَيت
١٠٦ الطِّرماح
١٠٧ العَجَّاج الرَّاجز
١٠٨ رؤبة بن العَجَّاج
١٠٩ أبو نُخَيلَةَ الرَّاجز
١١٠- أبو النجم الراجز
١١١- دُكَيْن الرَّاجز
١١٢- الأغلب الرَّاجز
١١٣- أبو دِهبل الجمحي
١١٤- ابن الرِّقاع
١١٥ عُروة بن حِزام
١١٦- قيس بن ذَرِيح
١١٧- ثابت قُطْنَة
١١٨- عمرو بن الأهتم
١١٩- سويد بن كُراع
١٢٠- أوس بن غلفاء التميمي

١٢١- نَهْشَل بن حَرّي النَّهشلي

١٢٢- الأعور الشَّنّي

١٢٣- حُريث بن مُحَفِّض

١٢٤- سحيم بن الأعرف

١٢٥- سُحَيم بن وَثيل

١٢٦- فرعان بن الأعرف

١٢٧- خداش بن زهير

١٢٨- حُصين بن الحُمَام

١٢٩- كعب بن جُعيل

١٣٠- عُميرة بن جُعَيل

١٣١- عبدالله بن هَمَّام السَّلولي

١٣٢- أبو ذؤيب الهُذَلي

١٣٣- المتنخل الهُذلي

١٣٤- أبو خراش (خُوَيْلد بن مُرَّة)

١٣٥- عروة بن مُرَّة

١٣٦- أبو جُنْدَب بن مُرَّة

١٣٧- خويلد بن مُطْحل الهُذَلي

١٣٨- مالك بن الحارث الهُذَلي

١٣٩- أُسَامة بن الحارث الهُذَلي

١٤٠- أُمَيَّة بن أبي عَائذٍ

١٤١- صخر الغَيّ (الهُذَلي)

١٤٢- أبو العيال (الهُذَلي)

١٤٣- أبو كَبير الهُذَلي

١٤٤- عُرْوَة بن الوَرْد

١٤٥- ضَريح الثقفي

١٤٦- عمر بن لجأ الرَّاجز

١٤٧- أبو الهندي

١٤٨- الكذَّاب الحِرْمازي

١٤٩- مُرَّة بن مَحْكَان السَّعدي

١٥٠- أوس بن مَغْراء

١٥١- أبو الزَّحف الرَّاجز

١٥٢- السُّرادق الذُّهَلي

١٥٣- هُدْبة بن خَشْرم العُذْري

١٥٤- سعد بن ناشِب

١٥٥- المِزَّار العَدَوي

١٥٦- المِزَّار بن سعيد الفَقْعسي

١٥٧- أبو وَجْزَة السَّعدي

١٥٨- الشَّمَرْدَل

١٥٩- القَتَّال الكِلابي

١٦٠- القُلاَخ بن جَنَاب

١٦١- ذو الإصبع العَدْواني

١٦٢- لَقِيط بن زُرارة

١٦٣- البَرْدَخت

١٦٤- خلف بن خليفة

١٦٥- العَجْلاني

١٦٦- جِرَان العَوْد

١٦٧- القُطَامي

١٦٨- عَبَدة بن الطَّبيب

١٦٩- أبو الأسود الدُّؤلي

١٧٠ ابن الدُّمينة

١٧١- أبو جِلدة

١٧٢- الأَجْرَد

١٧٣- مُدْرِج الرِّيح

١٧٤- أَنَس بن أَبي أُنَاسٍ

١٧٥- المُقَنَّع الكِنْدي

١٧٦- يحيى بن نَوْفل اليماني

١٧٧- العَبَّاس بن مِرْدَاس السُّلَمي

١٧٨- دُريد بن الصِّمَّة

١٧٩- إبراهيم بن هَرْمَة

١٨٠- العُمَاني

١٨١- بَشّار بن بُرد

١٨٢- سُدَيْف بن مَيمُون

١٨٣- مروان بن أبي حفصة

١٨٤- أبو عطاء السِّندي

١٨٥- ابن مَيَّادة

١٨٦- أبو حَيَّة النميري

١٨٧- أبو دُلامة

١٨٨- حَمَّاد عَجْرَد

١٨٩- مالك بن أسماء

١٩٠- عُبيد بن أَيُّوب

١٩١- الأحيمر السَّعدي

١٩٢- خَلَف الأحمر.

١٩٣- أبو العتاهية

١٩٤- أبو نُواس

١٩٥- العَبَّاس بن الأحنف

١٩٦- صريع الغواني

١٩٧- أبو الشِّيص

١٩٨- دِعْبِل الخُزَاعي

١٩٩- الخريمي

٢٠٠- منصور النَّمرَي

٢٠١- العَتَّابي ٢٠٢ علي بن جَبَلَة

٢٠٣ ابن مُناذر ٢٠٤ عبدالله بن محمد بن أبي عُيينة

٢٠٥- محمد بن يسير ٢٠٦- أَشْجَع السُّلَمِي.

وواضح من مادة الشعراء أنَّ التركيز كان على علاقة هؤلاء بالخلفاء والأمراء وما تُمثِّل به من شعرهم في المجالس، والعلوم، والأحوال.